



خطبة صلاة الجمعة 21 / 8 / 2020 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (هجرة وهجرة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، خير نبيِّ اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

عنوان خطبة اليوم: (هجرة وهجرة)

### أيها الإخوة:

تعرض آيات القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لنوعين من الهجرة: الهجرة بالمعنى الخاص وهي مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام مكة متوجهين إلى المدينة فراراً بدينهم ولحاقاً بالعلم والعبادة والأخلاق، والهجرة بالمعنى العام وهي مفارقة ما نهى الله عنه إلى ما أمر به.

أما المعنى الأول المعنى الخاص هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنجد مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:

وأما المعنى الثاني المعنى العام هجرة ما نهى الله عنه إلى ما أمر به فنجد مثلاً فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ الْهَجْرَةُ؛ إِلَيْكَ حَيْثُمَا كُنْتُ، أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ، أَوْ لِقَوْمٍ حَاصَّةٍ، أَمْ إِذَا مُتُّ انْقَطَعَتْ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ الْهَجْرَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، فَأَنْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضَرَةِ» قَالَ: يَعْنِي أَرْضًا بِالْيَمَامَةِ.

وفي رواية: «الْهَجْرَةُ أَنْ تَهْجُرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، ثُمَّ أَنْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضَرِ».

وبناء على هذين المعنيين الخاص والعام، فإن الهجرة لا تنقطع وهي واجبة على كل مسلم إلى قيام الساعة؛ أن يهجر الجهل إلى العلم، وأن يهجر المعصية إلى الطاعة، وأن يهجر الفرقة إلى الوحدة، وأن يهجر هوى النفس إلى رضا الرب. وأن يهجر رفاق السوء إلى رفاق الصلاح، وأن يهجر مكاناً يذكره بالمعصية إلى مكان يذكره بالطاعة.

ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بذلوا ما بذلوا وتحملوا ما تحملوا وأنفقوا ما أنفقوا ليطمئنا هجرتهم ويحفظوا دينهم وينشروا الخير في الأرض، فإن المسلم فينا مطالب أن يبذل وسعه ويقدم جهده ويتحمل استطاعته ليحقق هجرته ويحفظ دينه وينشر الخير في الأرض. أخرج أبو داود عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، فالهجرة بمعناها الخاص تمت وانقطعت ولكن الهجرة بمعناها العام مستمرة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة.

بل إن الهجرة بمعناها العام لا مثيل لها من الأعمال، فقد أخرج النسائي عن كثير بن مرة أن أبا فاطمة حدّثه أنه قال: «يا رسولَ الله، حدّثني بعمل أستقيم عليه وأعمله، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بالهجرة، فإنه لا مثل لها».

فهجران المعصية إلى الطاعة وهجران الجهل إلى العلم وهجر الكسل إلى العمل وهجر سوء الأخلاق إلى حسنها لا مثل له في هذا الدين، بل إنه الدين الذي ينقل الناس من الظلمات إلى النور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المائدة: 15، 16].

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: (الهجرة هجرتان هجرة الأوطان وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان لما فيها من إرضاء للرحمن وإرغام للنفس والشيطان).

كلّف أحد التجار شاباً يثق بأمانته وخبرته بإدارة إحدى محلاته في سوق مهم في البلد واتفق معه على أن يكونا شريكين يأخذ الشاب ثلاثين بالمائة من الأرباح والسبعين للتاجر، وللشاب أن يسحب على الحساب دفعات شهرية يسير بها أمور منزله ويغلقان الحساب معا نهاية كل عام ميلادي.

استمرت الشراكة بينهما سنوات طويلة، ثم إنهما اتفقا على فض الشركة وإنهاء الحساب بينهما. وهكذا كان.

جاء من يقول لهذا الشاب لماذا لا تطلب من هذا التاجر تعويض نهاية الخدمة، ولماذا لا تقدم شكوى ضده إن لم يفعل، ولما كانت الهجرة بالمعنى العام هي هجر الجهل إلى العلم، وهجر الظلم إلى العدل، وهجر الحرام إلى الحلال، وهجر المعصية إلى الطاعة؛ جاء هذا الشاب ليسأل: هل يحلّ له أن يطالب بتعويض نهاية العمل.

والجواب: إنه لا يجوز له ذلك لأنه كان شريكاً في الفترة الماضية ولم يكن أجيراً، ولئن كان الأجير ينال تعويض نهاية الخدمة بشروط معينة فإن الشريك لا ينال ذلك.

أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - قال: قال رجل: «يا رسول الله، أيُّ الهجرة أفضل؟ قال: «**أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ**».

توفى الله زوجها قبل أشهر وكان في حياته سجل عقاراً باسمها يزيد ثمنه على نصف المليار في هذه الأيام، ولما تمت قسمة التركة بين الوارثين فاجأهم بأن هذا العقار ليس لها إذ إن زوجها أخبرها أن سيضعه باسمها صورياً وأنه إن مات فهو أمانة عندها تقسمه مع الورثة جميعاً إرثاً شرعياً.

إن هذه الزوجة فهمت معنى الهجرة من الحرام إلى الحلال ومن المعصية إلى الطاعة ومما يكره الله إلى ما يحب.

أخرج أبو داود والنسائي عن عبد الله بن حُبشي الخثعمي رضي الله عنه قال: «**سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: طَوْلُ الْقِيَامِ، قِيلَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جُهْدُ الْمُقِلِّ، قِيلَ: فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**».

روت كتب السيرة: واجتمع في دار الندوة رجال قريش وتمالؤوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَتَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: لَا تَبْتَ

هَذِهِ اللَّيْلَةُ عَلَى فَرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا أَنْ يَنَامَ عَلَى فَرَاشِهِ وَيَتَسَجَّى بِبُرْدِهِ وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُوَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَاعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَخْشَى عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ صَدَقِهِ وَأَمَانَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَقِفُ الْمَرْءُ مَدْهُوشًا عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ رُؤْيَيْهِ صَنَادِيدَ قَرِيشٍ يَقْفُونَ عَلَى بَابِهِ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ وَتَفْرِيقَ دَمِهِ فِي الْقَبَائِلِ لَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ وَرَاءَهُ مَنْ يَرُدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى أَصْحَابِهَا وَيُعِيدُ الْوَدَاعَ إِلَى أَهْلِهَا...!

وَيَعْلُقُ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ يَقُولُ: وَرَبِّ قَائِلٍ يَقُولُ: إِنْ وَرَاءَ الْمُهْجَرَةِ هَدَفًا أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّمَسُّكِ بِجَزَائِيَّاتٍ أَخْلَاقِيَّةٍ قَدْ يَسْمَحُ الظَّرْفُ الْخَطِيرُ بِتَجَاوُزِهَا. لَكِنْ مَنْطِقُ رَسُولِ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ آخَرٌ.. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ الْمُبَادِئِ الْآخَرَى إِذَا كَانَ هُوَ مُتَأَسِّيًا بِهَا فِي تَخْلِيهِ عَنْ أَخْلَاقِيَّاتِهِ فِي سَاعَاتِ الْحَنَةِ وَالْخَطَرِ؟.

وَمَا مَعْنَى الْمُهْجَرَةِ إِنْ لَمْ تَكُنِ الْأَمَانَةُ فِيهَا مَحْفُوظَةً وَالْعُهُودُ فِيهَا مَرْعِيَّةٌ وَالْحَقُوقُ فِيهَا مَصُونَةٌ؟.

وَمَا مَعْنَى الْمُسْلِمِ إِنْ لَمْ تَخْبِرْ أَخْلَاقُهُ النَّاسَ عَنْ عَظِيمِ إِيْمَانِهِ وَصَدَقَ رِسَالَتُهُ؟.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهَ: «**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**».

أَرْسَلْتُ سَيِّدَةَ فَاضِلَةٍ يَوْمًا تَسْأَلُ تَقُولُ: وَصَلْتُ إِلَى بَلَدٍ أَوْرَبِي - سَمَّيْتُهُ - مِنْ سَنَوَاتٍ مَعَ أَوْلَادِي الثَّلَاثَةِ صَبِيَّينَ وَبَنَاتٍ لِنَلْحَقَ بِزَوْجِي الْمَقِيمِ هُنَا.

بَدَأَتْ الْمَشْكَلَاتُ بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الْبِيئَةِ وَالْمَجْتَمَعِ الرَّافِضِ لَتَمَسُّكِنَا بِدِينِنَا الْإِسْلَامِيِّ، الْمَشْكَلَةُ أَنَّ ابْنَتِي الْمَرَاهِقَةَ تَغْيِرَتْ لِدَرَجَةٍ لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُهَا مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي، وَكَانَ ذَلِكَ بِتَشْجِيعٍ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَأَصْدِقَائِهَا. سَافَرْتُ قَبْلَ أَشْهُرٍ إِلَى دُبَيِّ لِأَرَى أُمِّي وَأَبِي وَتَرَكْتُ الْأَوْلَادَ مَعَ وَالِدِهِمْ. وَعِنْدَمَا عُدْتُ تَفَاجَّئْتُ بِأَنَّ ابْنَتِي تَرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى نَادِي رِيَاظِي مُخْتَلِطًا، رَفَضْنَا أَنَا وَأَبُوهَا وَتَنَاقَشْنَا بِشَكْلِ حَادٍ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَأَخْبَرْتُ مَدْرَسَتَهَا أَنَّ أُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ أَقْلِ حَقُوقِي!

تَدَخَّلَتِ الْبَلَدِيَّةُ فَوْرًا، وَأَنْذَرُونَا بِسُحْبِ الْأَبْنَاءِ مِنَّا إِنْ عَدْنَا إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّصَرُّفِ ثَانِيَةً.

حاولت حل المشكلة، ومنذ فترة بدأت ابنتي تفكر في العيش وحدها بحجة أنها أصبحت كبيرة وتريد أن تستقل مثل البنات الأوربيات وتحمل المسؤولية.

المشكلة القانون معها ومن الممكن أن تذهب إلى البلدية مرة أخرى، ونتعرض لأخذ الأبناء منا. لقد كانت ابنتي في الشام مؤدبة وكانت تحفظ شيئاً من القرآن الكريم وحفظت الأربعين النووية. ومنذ شهرين اكتشفت أنها تتحدث مع شاب، أخبرتها أن هذا حرام ولا يجوز ولكن لا فائدة. فبماذا تنصحوني.

**أيها الإخوة:** لا أرى لهذه الأم المتألّمة والأب المشفق حلاً إلا بالهجرة من بلد لا يأمن فيه المرء على دين نفسه وولده إلى بلد يأمن فيه عليهما ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ [النساء: 100] قال المفسرون: (يجد في الأرض مكاناً ومتحولاً ينعم فيه بما يكون سبباً في قوته وذلة أعدائه، مع السعة في رزقه وعيشه).

قال القرطبي المفسر: (قال سعيد بن جبير: إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام).

**أيها الإخوة:**

الهجرة في القرآن والسنة هجرتان، هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة وهي هجرة خاصة وقد مضت لأهلها فنالوا أجرها وثوابها، وهجرة عامة وهي هجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة يهجر فيها كل مسلم ما نهى الله عنه لينال أجرها وثوابها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218].

والحمد لله رب العالمين